لم تعد فلسطين ورقة في أيدي أحد . ذهبت الى برلين في أيدي أصحابها . **لقد استقلت معنويا** . صارت تدخل من الابواب الرئيسية ولا تتسلل من النوافذ السرية او من حقائب الديبلوماسية . هذا هو أهم انتصار حققته حركة الشعب العربي الفلسطيني المسلحة. يبقى الحق مطارحة ذهنية ، اذا لم يسلح نفسه بالقوة . وهذا هو الفارق بين الحالة الفلسطينية في مهرجان وارسو وبين الحالة الفلسطينية في مهرجان برلين . لقد سلمتنا فيتنام الراية في ضمائر الشعوب . فهل نستطيع القيام بهذا العبء الثقيل ! . بقدر ما تكون المسؤولية عبئا بقدر ما تكون جدارة النضال .

كم تغير وجه العالم حين تغير وجهنا . كانت رايتنا تخرج من دمنا ومن بين الانقاض . وحين دخلت المدرج الكبير وقف العالم على أقدامه لتحيتها وغنى لفلسطين ، ولم يسأل أحد عن العلم الاسرائيلي الذي يرتفع بعيدا عن ضمير العالم على سطوح الجرائم في الشرق الاوسط . كانت أنغام عازف الكمان اليهودي الجالس على السطح خافتة لا تكاد تسمع ، لان هدير الطائرات الاسرائيلية كان عاليا ، وكان ينشر الموت على سطوح المنازل العربية . وكان الفارق بين عازف الكمان اليهودي وبين قائد الطائرة الاسرائيلي كبيرا جدا . وهذا هو السبب الذي لا يفهمه وزير الخارجية الاسرائيلي للتحول العميق لدى اليسار العالمي بين تأييده الحرية الفردية لليهودي ، ورفضه «الحريات الجماعية» التي تعني حرية اسرائيل في قتل العرب وفي ابتزاز العالم .
لم أتمكن من مخاطبة عازف الكمان اليهودي في مسرحية شالوم عاليخم الذي أبكى اوروبا على مصير عائلات يهودية تشردت في اوائل هذا القرن ، ولكنني تمكنت من مخاطبة مرافقي الالماني الذي شاهد المسرحية معي : هل ترى النفاق ؟ يبكون على بيت مهجور ، ولا يصمتون لحظة لنداء وطن مهدور .

ـ لم تكن أنغام هذا العازف مسموعة قبلما قاد ابناؤه الطائرات .

ـ من أجل هذا تخطفون الطائرات ، ليصير لكم صوت ؟

أنا الذي وجهت السؤال الى نفسي . ليست القضية متشابهة ، وليس الرد على العنف بالعنف [من الجانب الفلسطيني] شبيها بتحقيق الذات بالعنف [من الجانب الاسرائيلي] . ولكن ، لماذا تخطف الطائرات ؟ وبطريقة اخرى : من أين اكتسبنا كل هذه الخبرة في الاساءة الى انفسنا ؟ . ترددت صحف المانيا الديموقراطية في نشر نبأ حادثة مطار أثينا الدموية ، ثم نشرتها بحياء ، بينما اطلقتها وسائل الاعلام في المانيا الغربية بضجيج . هل يكفي ان نقول اننا غير مسؤولين عن هذا الحادث ولا عن اختطاف الطائرة اليابانية ؟ لقد نددنا وبقينا مسؤولين ، لان بعضنا جعل خطف الطائرات مرادفا للثورية الفلسطينية حتى سوغ لاي شاب ان يخطف طائرة باسم فلسطين .

وجهت سؤالا الى مرافقي : لماذا كل مشاهدي المسرحية شيوخ .. أين الشباب ؟ أعطاني جوابا خبيثا كسؤالي : قد يكونون في العمل . كانت الساعة العاشرة مساء . قلت : الناس محايدون بالطبيعة . والفن هو الذي يحركهم . لو استطعنا ان نقدم مسرحية عما يحدث لنا الان : عن عازف الكمان الاسرائيلي فوق الجمجمة ، لتغير شيء كثير في الوجدان . قال : ستجدون في القاعة مشاهدين شبابا أيضا ! .

ليس للحماقة قومية ولا جنسية . بعض الفلسطينيين المتحررين من الحكمة السياسية يجعل ، بسلوكه الطائش ، الجنرال ديان حكيما . واغلبية الاسرائيليين الغارقين في العجرفة والعنف تجعل حمقى الفلسطينيين حكماء . الفرق هو أن الجريمة الاسرائيلية ترتكبها دولة . والحماقة الفلسطينية يرتكبها أفراد . ها هي اسرائيل التي استصرخت العالم لضمان سلامة الاجواء العالمية ، ووصفت التعرض للطائرات بأنه جريمة وحشية